

أهمية الكتابات الأثرية في الدراسات التاريخية

The importance of archaeological writings in historical studies

عبد القادر بوتشيشة¹*¹ جامعة حسيبة بن بوعلی الشلف - الجزائر، a.boutchicha@univ-chlef.dz

تاريخ النشر: 2024/12/22

تاريخ القبول: 2024/11/15

تاريخ الاستلام: 2024/02/01

ملخص:

يهدف البحث الى التعريف بمفهوم الكتابات الأثرية وتطورها التاريخي من خلال تتبع المراحل التي مرت بها منذ أن بدأ الانسان يعبر عما يفكر فيه بخطوط بسيطة على الأرض إلى أن اكتشف الحاسوب، مروراً بمحطات بارزة في الكتابة وخاصة اختراع الأبجدية. كما يهدف البحث إلى إبراز العلاقة بين التاريخ وعلم الآثار ومدى حاجة المؤرخ للكتابات الأثرية في سد الثغرات والأخطاء في الكتابات التاريخية. توصلنا من خلال هذا البحث الى أن مفهوم الكتابات الأثرية مفهوم واسع ومتشعب له علاقة بمجال الفنون خاصة الرسم والزخرفة والخط. وإلى أن التراث الاسلامي غني بالكتابات الأثرية التي أفادت المؤرخين كثيراً باعتبارها مصادر ذات موثوقية ومصداقية؛ وقد صححت بعض الأخطاء التي وقع فيها المؤرخين انطلاقاً من مصادر أخرى.

كلمات مفتاحية: الكتابات الأثرية، علم التاريخ، النقوش، الخط العربي، علم الآثار.

Abstract:

The research aims to introduce the concept of archaeological writings and their historical development by tracing the stages it went through since he began to express what he thought with simple lines on the ground until he discovered the computer, passing through prominent milestones in writing, especially the invention of the alphabet.

The research also aims to highlight the relationship between history and archaeology and the extent The historian's need for archaeological writings to fill the gaps and errors in historical writings. Through this research, we concluded that the concept of archaeological writings is a broad and complex concept related to the field of arts, especially painting, decoration, and calligraphy. The Islamic heritage is rich in archaeological writings that have

greatly benefited historians as they are reliable and credible sources and have corrected some of the mistakes that historians made based on other sources.

Keywords: archaeological writings, history, inscriptions, Arabic calligraphy, archaeology.

1. مقدمة :

الانسان مخلوق اجتماعي جُبِلَ على حب التواصل والتآلف مع بني جنسه سواء في محيطه الضيق والأقرب وهو الاسرة والعائلة، أو محيطه الأوسع والأبعد وهو المجتمع البشري. فكانت اللغة هي الوسيلة الأولى للتواصل: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...» (البقرة: 31).

واللغة تعني «المنطق» وهي لفظة مشتقة من النطق أو الكلام، والمنطق معناه الأصلي بالعربية هو «اللغة» أو «الكلام» «عَلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ» (النمل: 16). فاللغة إذن تعتمد على النطق أو الكلام وعلى السماع.

ولكن اللغة بهذا المنظور تحقق التواصل المباشر والآني؛ فكان لا بد للإنسان من وسيلة أخرى للتواصل مع بني جنسه مهما تباعد المكان والزمان. فاهتدى إلى الكتابة التي هي مثل اللغة في كونها رسالة تصل بين المرسل (الكاتب) والمستقبل (القارئ). ولضمان بقاء هذه الكتابات لجأ الإنسان إلى تدوينها على مواد تقاوم عوامل الدهر وتحقق له نهمه وشغفه للبقاء والخلود ولو بصورة رمزية.

والكتابات التي كتبت على مواد صلبة ومقاومة ووصلتنا أو عثر عليها المتخصصون، تعرف عند أهل الاختصاص بـ: «الكتابات الأثرية» (Epigraphy). فما مدلول الكتابات الأثرية؟ كيف تطورت عبر التاريخ؟ ما أنواعها؟ وما هي المواد التي كتبت عليها؟ ما قيمتها العلمية والتاريخية؟ ولماذا اعتبرت من أهم الأصول (=المصادر) التاريخية؟

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز القيمة العلمية للكتابات الأثرية وإلى الاستفادة من الأبحاث والدراسات الأثرية حولها لإنجاز أبحاث ودراسات في ميدان التاريخ. كما نصبو بها إلى

تحقيق التنسيق والتبادل المعرفي في مجال العلوم الإنسانية لأن محور دراساتها واحد وهو الإنسان.

إن المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي هو المنهج الأفضل لمثل هكذا دراسات؛ فانتهجته محاولا الاستفادة من بعض الدراسات الأكاديمية السابقة مثل: كتاب «تاريخ الكتابة العربية» لمحمد إبراهيم علي، وكتاب التاريخ والمؤرخون العرب لعبد العزيز سالم. ومقال محكم للباحث العمري يحيى بعنوان: أهمية الكتابات الأثرية العربية كوثيقة أثرية ودورها في كتابة البحث التاريخي وتصحيحه، وأيضا مقال آخر موسوم ب: ماهية الكتابات الأثرية وأنواعها في حضارة بلاد المغرب الإسلامي لمحمد عياش. وغيرها من المراجع التي سأشير إليها في حينها.

2. الكتابة الأثرية: المصطلح والمفهوم:

أن القصد الأول من الكتابة عموما كما يذكر القلقشندي¹ صاحب «صبح الاعشى» هو الحفظ والقيد لعدم النسيان، لأن العمر قصير، والوقائع متسعة، وماذا عسى الإنسان أن يحفظه بقلبه، أو يحصله في ذهنه (القلقشندي، 1922، صفحة 36).

ولكن الكتابة أصبحت مع مر الزمن صناعة متقنة متعددة الأغراض، ثم تطورت لتصبح فنا من الفنون له قواعده وضوابطه. فلا عجب أن اختلف العلماء في حقيقتها وفي تعريفها.

2.1 الكتابات الأثرية وعلاقتها بالإيبوغرافيا:

دون الخوص في تفاصيل المعنى اللغوي لهذا المصطلح؛ فالكتابات الأثرية هي ما تركه الخط. – الذي كتبه الإنسان – على المادة الصلبة المقاومة كالحجر والرخام والمعدن وغيرها.

1 - القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي: (1355-1418 م) مؤرخ وأديب ولد في قلقشنده بجوار قليوب بمصر، وعاش بالقاهرة، والتحق بديوان الرسائل، وناب في الحكم، أشهر كتبه: «صبح الاعشى في صناعة الإنشاء» (14 مجلدا)، وهو موسوعة في النظم والإدارة والدواوين وعلوم الكتابة، وله قيمة كبيرة فيما يتصل بتاريخ مصر والشام وجغرافيتهما، ألف أيضا: «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب» (نصار، 2009، صفحة 2580)

والتي أصبحت بعامل الزمن ميدانا خصبا لدراسات وأبحاث العلماء والباحثين في ميادين علمية أكاديمية كعلم الآثار والتاريخ وعلم الأناسة وغيرها.

وعادة ما يستعمل لفظ الايبوغرافية للتعبير عن الكتابات الأثرية وهو مصطلح إغريقي الأصل يستعمل في اللغات اللاتينية ومنها الفرنسية. وقد ورد في مادة إيبوغرافية (Épigraphie) معنيين؛ الأول ويعني: نقوش المباني المبنية لتاريخ بنائها أو لتخليد ذكرى شخص أو الترحم عليه وغير ذلك مما رغب فيه الباني، والمعنى الثاني: علم من العلوم المساعدة للتاريخ، يهتم بدراسة النقوش على المواد الدائمة، مثل الحجر والمعدن. (إنها مفيدة بشكل خاص في معرفة تاريخ الحضارات القديمة، والتي اختفت معظم الوثائق القابلة للتلف منها. (larousse, 1986, p. 348)

يتضح مما سبق أن الايبوغرافية تشمل الكتابات والنقوش (Inscriptions) التي تركها الانسان على المواد الصلبة الدائمة لأي مقصد أو غرض وأنها (أي الايبوغرافية) تستعمل للدلالة على العلم أكثر منه للدلالة على الكتابات والنقوش نفسها. ولكننا لسنا مجبرين على اقتباس أو تحديد المصطلح والمفهوم الذي نستعمله هنا من اللغات الأجنبية فاللغة العربية غنية جدا بالمفردات وإذا لم نجد ضالتنا؛ فيمكننا اللجوء إلى النحت.

2.2 المفهوم الواسع للكتابات الاثرية:

وقد استخدمت مصطلحات عديدة للتعبير عن المفهوم منها: «النقوش الكتابية» و«الكتابات الخطية» و«النقائش». هذه الأخيرة تعني تزويق الأشياء بالألوان وحفر المعادن والمواد الصلبة أو النحت عليها. (عياش، ماهية الكتابات الأثرية وأنواعها في حضارة بلاد المغرب الإسلامي، 2020). ويرى البعض أن الأنسب هو استعمال مصطلح الكتابات الأثرية لأنها تعبر عن لغة معينة وكتبت بخط معين. فالكتابات الأثرية بهذا المعنى هي: «كل الكتابات التي نقشَت على المعالم الدينية والمدنية والعسكرية والمنشآت الخاصة بتنظيم وسائل الري من قنوات

وسدود، وعلى المخطوطات والفنون الزخرفية من تحف زجاجية وخزفية وخشبية ومنسوجات وأحجار وشواهد قبور ...» (يحياوي، 2021).

ولكن لا بد أن نشير إلى أن الانسان عندما ترك آثارا على المواد الدائمة، أنما كان يعبر عمّا يدور في خلدّه من أفكار، وما كان يحس به من مشاعر. وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون في مقدمته، وفي معرض حديثه عن اعتبار الخط والكتابة من عداد الصناعات الإنسانية: «وهو [أي الخط] رسوم وأشكال حرفيّة تدلّ على الكلمات المسموعة الدالّة على ما في النّفس. فهو ثاني رتبة من الدّلالة اللّغويّة وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواصّ الإنسان الّتي يميّزها عن الحيوان. وأيضاً فهي تطلع على ما في الضّمائر». (خلدون، 1984).

فالإنسان وهو يترك هذا الأثر، إنما كان يقصد تبليغ رسالة إلى أحفاده والأجيال القادمة. فالنقائش والرسومات والصور التي خلفها الأسبقون كلها تعتبر في الواقع من الكتابات الاثرية.

3. التطور التاريخي للكتابات الأثرية

سعى الإنسان منذ قديم الزمان لتسجيل مراحل حياته بالمشافهة والتدوين، وكان اختراع الكتابة منذ نحو 5 آلاف عام نقلة هائلة في تاريخ وواقع البشرية، وبدأ التدوين بالرموز والصور، قبل أن تتطور الأبجدية الصوتية لكلام يدون الأفكار والمشاعر والعلوم والفنون. الكتابة بمفهومها العام هي الخط أو الأثر الذي يكون منقوشاً، ومرسوماً على أي من السطوح المتباينة الديمومة، والتي إما أن تكون ورقية أو خشبية أو حجرية أو معدنية، والتي تعتبر محاولة لنقل الأفكار، والصور المسموعة، والأحاسيس، والآراء، والأحداث إلى اللغة المكتوبة، أي أنها هي عبارة عن إعادة ترميز الكلام المنطوق أو الفكر المتصور على شكل خطي مكتوب.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن البدايات الأولى للكتابة كانت عندما بدأ الإنسان يرسم خطوطاً أو دوائر أو منحنيات بسيطة على التراب معبراً عمّا يدور في نفسه، مستعملاً ما

توفر لديه من أدوات ووسائل بدائية. لكنه سرعان ما أدرك أنها تمحى ويزول أثرها بفعل الرياح أو المياه أو أثر السير. فلجأ إلى وسائل أكثر صلابة وديمومة.

3.1. المرحلة الأولى من الكتابات الأثرية: الكتابة التصويرية

الكتابة التصويرية هي الكتابة التي لا تعتمد على الكلمات بل على الصورة، حيث يتم التعبير عن المقصود من خلال الرسومات التي لا ترتبط بتاتا بعلم الصوتيات لأنها لا تحتوي على الحروف أو المقاطع. في نفس هذا السياق، يوجد أيضا الخط المسماري في بلاد ما بين النهرين، والحروف الهيروغليفية المصرية بالإضافة إلى الكتابة الصينية والكورية واليابانية وكتابات حضارة المايا والأزتيك، التي تتوافق تماما مع هذا النوع من التعبير. (نوتيثياس، 2020) لجأ الانسان القديم للتعبير عما يجول في خاطره إلى الرسم على الصخور وجدران الكهوف، أي منذ حوالي 40.000 سنة قبل ميلاد المسيح، فقد شعر الإنسان بالحاجة إلى التعبير عن نفسه من خلال أثر يبقى مع مرور الزمن، ويتجاوز مداه الكلام المنطوق. ويمكن اعتبار الرسومات والنقوش التي عُثر عليها في الكهوف من بين طرق التعبير السابقة للكتابة. (نوتيثياس، 2020).

أن أقدم رسوم الكهوف التي عُثر عليها حتى الآن هي تلك الموجودة في منطقة كانتابريا، في شمال إسبانيا. تمثل الرسوم صور لأيدي بشرية يصعب فك شفرتها، ولكنها في أقل تقدير هي رسالة من انسان ذلك العصر يعبر فيها عن نفسه وينبئنا بأنه مر من هناك. وتوجد الرسومات على الكهوف في كل القارات تقريبا وفي كل الأقاليم المناخية ومنها الصحاري الحارة. وهي أي الرسوم تعطينا دليلا على مدي التغير الذي طرأ على مناخ وجغرافية كوكبنا.

وعلى العموم فالرسوم والصور التي تركها الاقدمون – قبل اكتشاف الأبجدية - ليست ترجمة للغة أو الكلام المنطوق وإنما هي تعبير عن مشاعر أو أفكار لم يتوصل العلماء والدارسين لفهمها وفك رموزها، وتركت المجال واسعا أمام التأويلات والفرضيات، وزادت من حيرة العلماء ووقف العلم أمامها عاجزا رغم التقدم الكبير الذي عرفته البشرية في العقود الأخيرة ومنها خطوط نازكا بالشيلى ورسومات التاسيلي بالصحراء الجزائرية (هاشم، 2020)

وقد تطورت الكتابة التصويرية مع مرور الزمن وأصبحت تعبر بشكل أوضح عن المعاني والكلمات. ظهر ذلك جلياً عند السومريين في حضارة وادي الرافدين (الكتابة المسمارية) وعند المصريين القدماء في حضارة وادي النيل (الهيروغليفية) كما ظهرت عند الصينيين. ولكن رغم التطور الذي عرفته هذه الحضارات لم ترتقي فيها الكتابة إلى الأبجدية. (إبراهيم علي، 2019)

3.2 المرحلة الثانية من الكتابات الأثرية: الكتابة الأبجدية:

الكتابة في حقيقتها نظام من الرموز، تستعمل لتمثيل أصوات اللغة وأفكار الإنسان، وقد مرت بأدوار من التطور استغرق قرناً طويلاً، حتى انتهت إلى شكلها الأخير المتمثل بتخصيص رمز كتابي واحد لصوت لغوي واحد. وهذا الشكل من التعبير يعرف بالكتابة الأبجدية.

لا شك في أن العالم المعاصر مدين للفينيقيين في استعماله للحروف الأبجدية المستعملة في جل اللغات المكتوبة. ولو أن بعض النظريات تفترض أن الفينيقيين قد نقلوها عن أبجدية مصرية بدائية وطوروها ونقلها الإغريق عن الفينيقيين. أي أن الأبجدية المصرية كانت ناقصة ولا تفي بالغرض لأنها كانت خليطاً من الرموز الكلمية والمقطعية والحرفية (إبراهيم علي، 2019، صفحة 17)

لكن عالمة الآثار أورلي غولدفاسر² (Orly Goldwasser) المتخصصة في المصريات ترى أن الأبجدية المنسوبة لقدماء المصريين والتي عثر عليها في مواقع بصحراء سيناء إنما كتبها عمال كنعانيين (فينيقيين). وقد لاحظت بعض الدلائل الأخرى: تم العثور على النقوش بالقرب من موقع مناجم الفيروز القديمة ومعبد قديم مغطى بالهيروغليفية، وكانت عبارة عن نقوش لأسماء أشخاص واسم آلهة كنعانية.

نظرية غولدفاسر هي أن عمال المناجم الكنعانيين الأميين الذين يعملون في مناجم الفيروز هم من اخترع الأبجدية الأولى، لذلك يمكنهم كتابة أسمائهم كإهداء للإلهة. ولكن كثير

2 - من مواليد سنة 1951 رئيس قسم المصريات بمعهد علم الآثار، الجامعة العبرية في القدس. مهمة بدراسة نشوء الأبجدية في الشرق الأدنى القديم (wikipedia, 2023)

من النقد وجه لهذه النظرية باعتبار أنه لا يمكن أن يعزى اختراع هائل كهذا لعمال أميين.
(GlobalPost, 2016)

وسواء كان أصل الابدعية كنعاني أو مصري أو سومري فإنها -أي الابدعية - نشأت وتطورت في أرض الوطن العربي القديم، وأن مراحل تكونها تم على الأرض العربية القديمة سواء كانت أبجدية سيناء أو أبجدية جيبيل أو أبجدية رأس شمرا. (البشري، 2016)

4. الأهمية التاريخية للكتابات الاثرية:

يقول الدكتور عزت زكي قادوس هناك مقولة دارجة تقول : « إن الماضي لا يعود أبداً فإن كان الماضي بمعناه المجرد مادة التاريخ، فإن الآثار تعد الجزء المجسد من هذا الماضي... حيث نستطيع بشيء من البحث والتنقيب وكثير من المثابرة أن نجعل من الإلمام والإحاطة والإستيفاء واستنطاق الماضي أمراً محتملاً... فإذا تجاوزنا التاريخ إلى ما قبل التاريخ أصبحنا نلتمس معرفتنا بالقرائن أحياناً بما يكتنفنا من لبس وأخطاء لا تليق بالبحث العلمي وتصبح مجرد فرضيات غاب عنها المنطق حيث لا تستند إلى سند يدعمها وحتى لا تنزلق مرة أخرى في اتجاه الأساطير فتبقى آثار وبقايا الإنسان هي مدخلنا إلى بناء الماضي». (قادوس، 2003).

وإذا كان الامر هكذا بالنسبة لأهمية علم الآثار بعمومه لعلم التاريخ؛ فإن هذه الأهمية تزداد بالنسبة للكتابات الاثرية التي تحوي -بالإضافة إلى الأثر نفسه - على النص المرتبط بالأثر والظروف المحيطة بإنجازه. ولذا فالكتابات الأثرية مهما كان شكلها تعتبر ذات أهمية بالغة لعلم التاريخ خاصة في غياب الوثائق والمصادر الأخرى.

4.1. الكتابات الاثرية كمصدر من مصادر الدراسات التاريخية:

تكتسي المصادر التاريخية بمختلف أنواعها سواء المادية أو الغير مادية أهمية بالغة عند المؤرخ إذ تعتبر مادته الأولية في كتابة تاريخ الشعوب والبلدان وحتى تراجم الشخصيات. وبذلك فإن عمل المؤرخ متوقف على مدى حصوله على هذه المصادر، وقدرته على توظيفها والاستفادة منها.

وتعتبر الكتابات الأثرية من أهم هذه المصادر لأنها إحدى مجالات البحث في علم الآثار وهو العلم الذي يبحث في المخلفات المادية للإنسان عبر التاريخ ولطالما أسهمت الاكتشافات الأثرية في كتابة تاريخ مناطق كثيرة من العالم وخاصة ما تعلق بالتاريخ القديم وفترة ما قبل التاريخ.

أن البحث عن الآثار أو التنقيبات هو في الحقيقة البحث عن مادة التاريخ الأولى، والتي هي أصوله وموارده (ذنون، 2004). ومما زاد من أهمية الأبحاث والتنقيبات الأثرية هي التقنيات والطرائق العلمية المنتهجة في هذه التنقيبات والأبحاث. فعلم الآثار يعد علما حديثا بدأت أولى أطواره منذ منتصف القرن التاسع عشر للميلاد وقبل ظهور هذا العلم لم نكن نعرف شيئا ذا قيمة عن مدنات العراق القديم ومدنات الشرق بوجه عام ولا عن المناطق التي سكنها الانسان منذ ان وجد على سطح الأرض. (ذنون، 2004)

تعتبر الكتابات الأثرية من الشواهد التي لعبت دورا هاما في كتابة التاريخ القديم بصفة عامة، وقد أسهمت النصوص الايبوغرافية في استكمال الصورة التي عرفت عن حياة الإنسان، فمن خلال استنطاق هذه الكتابات يمكننا فهم الآليات التي كانت تحرك المجتمعات. ولذا اعتبرت من أهم المصادر المادية الحقيقية لتدوين التاريخ وتصحيحه، وإمالة اللثام عما سكت عنه المصادر والروايات الشفهية المتواترة. فهي مصادر حية محايدة لا يتسرب الشك إليها وتستعصي على التزوير أو التدليس.

4.2. أهمية النقائش والكتابات الأثرية الإسلامية:

تزخر الحضارة الإسلامية بالنقوش ولا يضاهيها من حيث الكم أي حضارة أخرى، لأن الفنانين المسلمين عرفوا وقدروا القيمة الزخرفية للحروف العربية فراحوا يبدعون في رسمها على قطع الخشب والزجاج والخزف والمعادن والاحجار والمسكوكات، والتحف الفنية المتعددة. وزينوا بها مساجدهم وقصورهم وجسورهم وأضرحتهم وقبورهم ومختلف عمائرهم. (زناتي،

2008، صفحة 50). وإن كانت جل نقوشهم هي كتابة فلأسباب متعلقة بتحريم التصوير عند المسلمين.

وإذا كانت النقوش كثيرة من حيث الكم فإنها ليست كذلك من حيث النوع إذا ما قورنت بالنقوش اليونانية واللاتينية مثلاً. لأن الكتابات الأثرية في المساجد والقصور والقلاع وشواهد القبور، وحتى على أواني الشرب والأسلحة والرايات والمنسوجات، معظمها لا يخرج عن العبارات والصيغ الدينية (آيات قرآنية، أحاديث نبوية، أدعية وابتهالات وغيرها) (زناتي، 2008، صفحة 50)

ومع ذلك فالكتابات الأثرية تعتبر ذات قيمة علمية وتاريخية لما تحتويه من معلومات كالكتابات التأسيسية التي تؤرخ لإنشاء العمارات الأثرية كالمساجد والقصور والقلاع والأوقاف، وما طرأ عليها من ترميم أو تجديد أو ترميم أو هدم أو إضافة، ويطلق عليها أيضاً الكتابات التذكارية. (تمميكشت، 2018)

وتزخر الفترة العثمانية بالجزائر بالكثير من الكتابات التأسيسية التي تعددت أغراضها وأشكالها الهندسية كالمربعات، والمستطيلات، والدوائر وأنصافها. وضعت داخل أطر مزخرفة بعضها كتب عليه تاريخ التأسيس وبعضها لم يكتب عليه. واتسمت هذه الكتابات التأسيسية بوجود العنصر النباتي في زخرفة الأطر تماشياً مع التقليد السائد عند الفنان المسلم بعدم رسم كل ذي روح. كما روعي فيها مبدأ التناظر والتناسب، وهي تعكس الذوق الفني الرفيع الذي اتسمت به الفنون في الفترة العثمانية (تمميكشت، 2018).

للإشارة فإن الكتابات الأثرية (تأسيسية أو غيرها) كتبت باللغة العربية وباللغة العثمانية باعتبارها هذه الأخيرة كانت اللغة الرسمية والإدارية. كما استعملت فيها عدة أصناف

من المواد كالرخام والجص والنحاس، وأنواع من الخطوط كخط النسخ وخط الثلث لكن الكتابة تراوحت بين الجيدة والرديئة. (بوزرينة، 2020)

وتعتبر هذه الكتابات من المصادر الثمينة للمؤرخين ومع الأسف ضاعت بعضها في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر عندما داهم جيش الاحتلال الأحياء العربية وهدم أجزاءً منها (COLIN, 1901, p. V)

أما الكتابات الشاهدية فهي الكتابات التي تكتب على القبور والأضرحة، وهي ألواح من الحجر أو الرخام أو الخزف أو غيرها من المواد الصلبة، توضع على قبر الميت غالباً عند موضع رأسه لغرض التعريف بصاحب القبر. ويحوي نص الكتابة عادة على إسمه ونسبه ومذهبه وتاريخ وفاته وبعض من الآيات القرآنية والأدعية المعروفة. وبذلك تعتبر بمثابة بطاقة تعريف للميت. وهي أكثر النقائش العربية من حيث العدد وتزخر بها بلاد المغرب الاسلامي. (عياش، العائلات العربية والنسب الشريف من خلال الكتابات الشاهدية بإفريقية القيروان وتونس نموذجاً، 2017)

بالإضافة إلى التأريخ للبناء نفسه فإن الكتابات الشاهدية لها أهمية كبيرة في معرفة وحفظ الأنساب للعائلات والقبائل (عياش، العائلات العربية والنسب الشريف من خلال الكتابات الشاهدية بإفريقية القيروان وتونس نموذجاً، 2017) وهي مسألة مقدسة في الموروث القبلي العربي بصفة عامة والمغاربي على الخصوص لأنها عنوان الهوية والشرف. وهوما يفسر سعي السلطات الاستعمارية الفرنسية لمحاربة عناصر الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري كالألقاب والانساب، بمختلف القوانين والتشريعات (وخاصة قانون التلقيب 23 مارس 1882).

إن الكتابات الأثرية بصفة عامة - بما تتضمنه من أخبار- تعد مادة أساسية للتأريخ الإسلامي ولا شك أن الكتابات الأثرية والنقوش المسجلة على الآثار تعتبر من الشواهد المادية الهامة التي هي بمثابة الوثيقة في صحة المعلومات، ولقربها من الحدث، وهي وثائق أصيلة يستند عليها المؤرخ في تأريخه للحوادث، فهي كتابات محايدة غير مغرضة، ولم تتغير من ناقلٍ إلى ناقلٍ

أو من راوٍ إلى راوٍ، وهي كذلك معاصرة للأحداث التي تسجلها ولم تشوهها الروايات والنقول (سالم، 1999، صفحة 151)

وفي مجال المسكوكات أو النُمُيَّات (Numismatics) تعتبر الدراية بالعملات الإسلامية ركيزة أساسية لدراسة التاريخ السياسي والاقتصادي للدولة الإسلامية، لأن النصوص المنقوشة على العملات تتضمن أسماء الخلفاء والسلطين والملوك وألقابهم ومعلومات أخرى مفيدة عن تاريخ سك العملة والمذهب السائد في الدولة. وكلها معلومات تخبرنا عن الأوضاع السياسية كإن تثبت أو تنفي تبعية الوالي أو الإقليم للخلافة، وكذلك الأوضاع الاقتصادية. فتداول العملة داخليا بكثرة يشير إلى قوة العملة وبالتالي الاقتصاد. كما أن العثور على العملة في مناطق واسعة ومتباعدة هو مؤشر الدلالة على الانتشار والتوسع الحضاري السياسي والتأثير الثقافي واتساع المبادلات التجارية. (سالم، 1999، صفحة 157)

كما ساهمت الكتابات الأثرية في تصحيح بعض الأخطاء التاريخية وفصلت في الروايات المتباينة حول تأسيس المدن. من ذلك أنه اختلف في تاريخ تأسيس مدينة واسط بالعراق، فالمؤرخون حددوا مدة التأسيس فيما بين عامي (70 و86هـ) وقد حسمت الأدلة المادية المستمدة من الكتابات الأثرية، وخاصة الكتابات المسجلة على السكة (العملة) الجدل بين المؤرخين القدامى ومن اتبع أثرهم من المؤرخين المحدثين، إذ أكتشف درهم ضرب بواسط مؤرخ بسنة 83هـ/702م. (يحيوي، 2021). وكذلك الحال بالنسبة لمدينة فاس إذ اختلفت روايات تاريخ تأسيسها، فذكرت بعض المصادر العربية أن تأسيسها كان على يد إدريس ابن إدريس بن عبد الله بن حسن سنة 192 هـ؛ في حين ذهب مصادر أخرى إلى أن تأسيسها كان سنة 182 هـ الأمر الذي تسبب في حيرة بين المؤرخين إلى أن عثر على عملات ضربت بمدينة فاس في سنتي 185 و189 هـ. الأمر الذي قطع بصحة الرواية القائلة بأن سنة تأسيسها كانت 182 هـ وعلى يد إدريس الأول بن عبد الله. (سالم، 1999، صفحة 158)

4.3 الكتابات الاثرية كتعبير عن تطور فنون الخط والزخرفة والنقش:

لم يعرف المجتمع العربي القديم من الفنون غير فن القول والخطابة، ولم يعرف له فنا بصريا يُذكر، إضافة إلى رأي الدين الاسلامي في التصوير البصري بالأساس والخشية على المجتمع الجديد أن يجلب لنفسه ما يُعيده إلى تقديس الصور والأوثان. لذلك مال الفن الإسلامي إلى التجريد كوجهة بديلة عن التجسيد، فقد كان التجريد هو الأقدر على التعبير الفني الذي تتقبله العقيدة الإسلامية، والتجريد هنا هو اعتماد الفن على أشكال ونماذج لا تشبه المشخصات والمرئيات بصورتها الطبيعية الواقعية. فكان فن الخط وزخرفته من الفنون التي أبدع فيها المسلمون.

وفي هذا الشأن يقول ناجي زين الدين: «إن الكتابة بالخط العربي الكبير حلت عند المسلمين محل الصورة عند المسيحيين، والخط العربي من أهم العناصر الزخرفية التي استعملها الفنان المسلم في موضوعاته، فقد كان التبرك بكتابة الآيات القرآنية أمرا لا يكاد يخلو منه عمل فني أو مسجد أو منارة في الأقطار الإسلامية...» (المصرف، 1972)

أن الكتابات الاثرية التي كتبت بالخط العربي تعبر عن الذوق العام السائد في تلك الفترة كما تعكس التقدم والرقى الذي عرفته المجتمعات العربية وتعكس الثقافة السائدة. وقد أخذ الفنان العربي يبدع في كتابة الأحرف العربية ويطوّعها ويبتكر في تطوير أشكالها إلى زخارف ونقوش، وكان الفن من المنظور الإسلامي ليس دعويا يتعبد به أو إليه، إنما ذو غرض نفعي؛ يزين أدوات الاستخدام اليومي من فخار وصحون وجدران وأثاث ليُضفي الجمال على الحياة اليومية، فيظل نمط الحياة بسيطا لكنه لا يخلو من الجمال. وكان ذلك الاحتفاء بالكلمة المكتوبة جديدا على العصر ولم يعهد من قبل، ويقول الفاروقي في هذا الصدد: «لا نجد بين من ينتمون إلى تلك الثقافات، أي شعوب ما بين النهرين، والعبرانيين، والهندوكيون، بما في ذلك العرب أنفسهم، من حاول اكتشاف القيمة الجمالية للكلمة المرئية، فالكتابة كانت ولا تزال في الغالب عملية فجّة، ولا يتركز حولها أي اهتمام جمالي في ثقافات العالم» (التلاوي، 2020)

وهكذا لم يقتصر الخط العربي على التعبير عن الأفكار والكلام المنطوق والتدوين فحسب، وإنما تعداه ليعبر عن فن الزخرفة والنقش وبرز خلال مختلف العصور خطاطون (فنانون الخط) أبدعوا في رسم لوحات خطية على مختلف الأسطح ولأغراض متعددة، وصمدت بعض هذه اللوحات الفنية. فلا عجب أن نجد أنواع عديدة من الخطوط نذكر أهمها والأكثر استعمالاً، خاصة وأن هذه الأنواع استعملت في الكتابات الأثرية:

الخط الكوفي: تبرز فيه الزوايا والأشكال الهندسية؛ كانت تستخدم في الأصل من قبل كتبة الكوفة لنسخ المصاحف، كما اشتهر هذا الخط في العصر العباسي وظهرت زخارفه على المآذن والمساجد والمدارس. كما استخدم في نقش النقوش على الحجر؛ ويعد الخط الكوفي أفضل أنواع الخطوط العربية للفن والزخرفة، لذلك لا يزال يستخدم على نطاق واسع اليوم في الزخرفة المعمارية.

خط النسخ: مرن ومستدير، بدون زوايا حادة. ابتكره العباسيون وتفننوا في كتابته، ونمقه العثمانيون. يستخدم لنسخ المخطوطات. ثم تكييفه مع المطبعة والآلة الكاتبة والحاسوب، وهو اليوم الأسلوب الأكثر استخداماً في الكتب والصحف.

خط الثلث: هو أصل الخطوط العربية وأجملها وأصعبها، حيث يجب أن تمثل المنحنيات الثلث من الخط المكتوب؛ استخدم خط الثلث في تزيين الجوامع والمحاريب والقباب وبدايات المصاحف، كما استخدم في عناوين الكتب، وأسماء الصحف والمجلات، وكذلك للنقوش الأثرية.

خط الرقعة: من أحدث أنواع الخطوط العربية، كان يستخدم سابقاً في الإدارة العثمانية لكتابة الرسائل في المعاملات الرسمية، ويستخدم حالياً للمراسلات وعناوين الصحف والإعلانات.

الخط المغاربي: الذي كان يستخدم سابقاً في البلدان المغاربية وفي إسبانيا المسلمة وفي السودان يميل اليوم إلى أن يحل محله النسخ في شمال إفريقيا.

الخط الفارسي: خفيف وأنيق، يبدو كأنه معلق على الخط؛ ابتكره خطاطو بلاد فارس،

وأصبح الأسلوب السائد بين الفرس والأتراك والهنود. (COULANGE, 2023, pp. 11 - 12)

الخط الديواني: ابتكره العثمانيون، وتم اعتماده الخط الرسمي للدولة العثمانية بعد

فتح القسطنطينية عام 857 هـ/ 1453 م، وسمى بالخط الديواني نسبة إلى دواوين الحكومة

التي كانت يكتب فيها. ويتميز الخط الديواني باستدارات حروفه، فكل حروفه مقوسة، كما

يتميز بمرونة التقاء الحروف وتلاصقها، فهو خط لين مطواع، وسهل الاستخدام. (خالد

خالدي، 2019)

وهكذا اقترن الخط العربي بفن العمارة وأصبحت العمائر لا تخلو من الكتابات بل

أصبح الخط جزءاً من زخارفها وزينتها. فكان فنا يحوزه الجميع ويفهمه بسيطهم ومثقفهم

سواء بسواء، وأنتج فن الخط فنونا أخرى كفن الزخرفة والأرابيسك والمعشقات وفن المفروكة

والتذهيب³.

وتظل عبارة «لا غالب إلا الله» من أشهر ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن تداخل

الخط والعمارة، وهي العبارة المنقوشة على جدران قصر الحمراء بالأندلس، وقد أضاف

الخطاط زخارف تُشبه الحروف الكوفية لكنها تُعادل ثلاثة أضعاف حجم العبارة، وكأن العبارة

نفسها تشي أن الناظر إليها مغلوب وألاً غالب إلا الله. (التلاوي، 2020)

5. الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات والملاحظات التالية:

- تشمل الكتابات الأثرية كل أشكال التعبير التي قام بها الإنسان بيده بدءاً بالرسوم

البسيطة والبدائية على جدران الكهوف وعلى الصخور، وانتهاءً بالنصوص اللغوية الفنية

الواضحة المعالم والأغراض.

3 - فن المفروكة هو فن الحفر على الخشب في وحدات مربعة صغيرة. أما التذهيب فن تزيين الصفحات بماء الذهب وانتشر

في المصاحف. (التلاوي، 2020)

- تطورت وتنوعت أساليب ومواد الكتابات الأثرية عبر الأزمنة والعصور المختلفة، وعكست التطور الذي عرفته المجتمعات البشرية.
- تعتبر الحضارة الإسلامية من أكثر الحضارات غنى بالكتابات الأثرية وتمتاز - بالإضافة لكونها مصدر للمعلومات - بكونها فنا إبداعيا قائما بذاته.
- إن الطابع الفني والجمالي للكتابات الأثرية العربية والإسلامية إنما مرده لتطور وجمالية الخط العربي وإبداعية الفنان المسلم.
- أسهمت الكتابات الأثرية في سد فراغات في تاريخ الانسان والشعوب والحضارات كما صحت الكثير من الأخطاء والمغالطات التاريخية.
- أصبحت الأبحاث الأثرية بصفة عامة والكتابات الاثرية بصفة خاصة من المصادر الأساسية والموثوقة في الدراسات التاريخية والتي لا يستغني عنها الباحث التاريخي الجاد. وأن التقاطع والتكامل بين فروع العلوم الإنسانية حقيقة واقعية وليست مجرد مسألة نظرية.
- وعليه فإني أدعو إلى ضرورة التعاون والتنسيق بين فروع العلوم الإنسانية بتبادل الخبرات والتجارب، والاستفادة من البحوث العلمية، وتنظيم فعاليات علمية مشتركة.

6. قائمة المراجع العربية:

■ القرآن الكريم.

■ حسن هاشم. (16, 04, 2020). أكبر أسرار الكون، كهوف تاسيلي في الجزائر. (OIntv، المنتج)

تاريخ الاسترداد 03, 2023، من برنامج غموض:

<https://www.youtube.com/watch?v=hzpUYzR0Kb8>

■ سامية عشير خالد خالدي. (16, 6, 2019). مسرح الجمال في عالم الخط العربي بين الأقالام

الستة والخطوط العجمية. دراسات فنية، 4، الصفحات 15 - 29.

■ أنور محمود زناتي. (2008). علم التاريخ واتجاهات تفسيره. القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية.

■ هجيرة تمميكشت. (2018). الأطر الهندسية على الكتابات التأسيسية من الفترة العثمانية

المحفوظة بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة. مجلة الدراسات الأثرية، 16، 78 - 95.

■ سعيد بوزرينة. (2020). تأريخ المبنى بالكتابات التذكارية بمدينة الجزائر خلال العهد

العثماني. مجلة الإنسان والمجال، 49 - 69.

■ محمد عياش. (2017). العائلات العربية والنسب الشريف من خلال الكتابات الشاهدية

بإفريقية القيروان وتونس نموذجا. مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 242-282.

■ أبو العباس القلقشندي. (1922). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية.

القاهرة: دار الكتب المصرية.

■ حسين محمد نصار. (2009). الموسوعة العربية الميسرة، م 3، ط3، (المجلد 5). بيروت،

لبنان: المكتبة العصرية.

■ محمد عياش. (30 مارس، 2020). ماهية الكتابات الأثرية وأنواعها في حضارة بلاد المغرب

الإسلامي. مجلة رفوف، الصفحات 55-73.

■ العمري يحيى. (25 سبتمبر، 2021). أهمية الكتابات الأثرية العربية كوثيقة أثرية ودورها

في كتابة البحث التاريخي وتصحيحه. مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 07، الصفحات

398-403.

■ ابن خلدون. (1984). المقدمة (المجلد ج 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

■ ثينكو نوتيثياس. (2020, 07 25). الكتابة التصويرية: أنواع وخصائص وأسرار الرسوم في

الحضارات المختلفة. تاريخ الاسترداد 03, 2023، من نون بوست:

<https://www.noonpost.com/content/37717>

■ محمد إبراهيم علي. (2019). تاريخ الكتابة العربية. القاهرة، مصر: دار المشرق العربي.

■ فيصل البشري. (2016). عِلْمُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ. مجلة العلوم الإنسانية، الصفحات 45 -

60.

■ عزت زكي قادوس. (2003). علم الحفائر و فن المتاحف. الاسكندرية: دار الكتب.

■ عبد الواحد ذنون. (2004). أصول البحث التاريخي. بيروت، لبنان: دار المدار الاسلامي.

■ عبد العزيز سالم. (1999). التاريخ والمؤرخون العرب. بيروت: دار النهضة العربية.

■ ناجي زين الدين المصرف. (1972). بدائع الخط العربي (المجلد 1). بغداد، العراق: وزارة

الإعلام العراقية.

■ منة التلاوي. (2020, 9 7). الخط العربي.. كيف صنعت الأحرف فنا؟ تم الاسترداد من

ميدان: [https://www.aljazeera.net/midan/art/2020/7/9/الخط-العربي-كيف-صنعت-](https://www.aljazeera.net/midan/art/2020/7/9/الخط-العربي-كيف-صنعت-الأحرف-فنا؟)

الأحرف-فنا؟

قائمة المراجع الأجنبية:

- GlobalPost. (2016, 12 30). *Did illiterate Egyptian miners invent the alphabet?* Retrieved from usatoday.:

<https://www.usatoday.com/story/news/world/2016/12/30/did-illiterate-egyptian-miners-invent-alphabet/95992202/>

- COULANGE, M. (2023, 3 31). *Apparition des alphabets*. Récupéré sur Le Scriptorium d'Ishtar: <http://www.lescriptoriumdishtar.fr/img/alphabets.pdf>

- wikipedia. (2023, 4 1). *Orly Goldwasser*. Récupéré sur wikipedia L'encyclopédie libre: https://fr.wikipedia.org/wiki/Orly_Goldwasser

- Larousse. (1986). *Petit Larousse en couleurs*. Paris: Librairie Larousse.
- Gabriel COLIN .(1901) .Le Corpus des inscriptions arabes et turques de

L'ALGÉRIE .PARIS: ERNEST LEROUX, ÉDITEUR.

